

بين العسكرية والسياسة (ذكريات)

عبد الرزاق اليحيى

رام الله: مؤسسة شمل للاجئين والشتات الفلسطيني ومؤسسة
الدراسات المقدسية، 2006. 304 صفحات.

يتناول الكتاب التجربة النضالية للمؤلف على مدار 60 عاماً بالتوثيق والتحليل. ومع أن المؤلف يروي ذكرياته الشخصية إلا إن صلته بالمواقع والشخصيات الرئيسية والقوى المؤثرة في المسيرة الوطنية الفلسطينية في كل مرحلة من مراحل التاريخ الوطني وبصورة متسلسلة، واضطلاحه بدور مركزي مؤثر فيها، جعلاً من الكتاب رواية للتاريخ الوطني فيما يتعلق بالمواقع والساحات والمراحل التي خدم فيها، إذ ساقه قدره ونضاله في سبيل قضية وطنه فلسطين، من ساحة إلى ساحة، ومن مكان إلى مكان، في رحلة طويلة صعبة ومعقدة، كصعوبة القضية الفلسطينية وتعقيداتها. فقد عكست الرواية تجربة فريدة ومتنوعة لقائد وطني مخضرم، سواء من حيث الشكل أو المضمون، كما عكست في وقائعها وما سرده من أحداث وصعوبات، وما حملته في طياتها من تفاصيل، ما أصاب الإنسان الفلسطيني والشعب الفلسطيني عامة من ظلم وتشنت ومعاناة.

هدف الكتاب، كما يشير المؤلف في مقدمته، هو تأريخ وتوثيق الأحداث التي مر بها عبر مسيرته النضالية الطويلة، وسبر أسرار تلك التجربة من خلال تسجيل وعرض الحقائق كما هي، ومن ثم تحليلها واستخلاص العبر منها، إضافة إلى ما تفيده في التربية والتثقيف وتعميم التجربة ونشر الوعي، وخصوصاً لدى جيل الشباب، ومساهمتها في تنويره بمنعطفات المسيرة الوطنية. وتنبع أهمية الكتاب من سرده لكثير من الأحداث والوقائع، وتقديمه معلومات تاريخية من منبعها المباشر (من أحد اللاعبين الرئيسيين فيها) لم تكن معروفة في السابق، وربما لم يورد بعضها أحد قبله. وهي تقدم مبادرة قد تكون رائدة من أحد القادة الفلسطينيين لتوثيق تجربته النضالية. ويؤمل أن يحذو قادة فلسطينيون آخرون حذوه في هذه التجربة المفيدة والمهمة.

يتناول المؤلف ذكرياته بلغة سلسة وأسلوب شيق وبسيط، ويعتمد على التسلسل التاريخي في عرض المحطات الرئيسية من مسيرة حياته، مع الحرص على عدم الإفراط في التفاصيل والتشتت في ذكر الأحداث بما يضمن تجانس النص وتكامله، وتوثيق التواريخ وتدقيقها بالاعتماد على الوثائق. كما يحاول الحفاظ على التوازن والموضوعية والدقة في تناول الشخصيات والأحداث، وتقويمها من دون مبالغة سلباً أم إيجاباً.

الإنجاز الأبرز للكتاب:

تحليل سمات وتطور

آليات العمل الوطني الفلسطيني

يركز المؤلف على التزامه الاستقلالية كسمة خاصة به وبدوره في العمل الوطني، بل يعتز بها ويلمح إلى أسبابها وميزاتها الإيجابية والسلبية. فقد كانت مفيدة لقيادة جيش التحرير مثلاً، وفي مواقفه داخل القيادة الفلسطينية، والحفاظ على حياديته من تأثير مختلف التيارات السياسية. وفي المقابل نلمس ما دفعه من ثمن باهظ على الصعيد الشخصي نتيجة لها في كثير من الأحيان.

ومثلما يشير عنوان الكتاب، يشرح المؤلف على مدار الفصول الخمسة عشر كيفية تكوّن المفاهيم والقناعات النضالية لديه، والانتقال من الاقتناع بالعمل المسلح كوسيلة وحيدة لتحقيق الغايات الوطنية في التحرير والاستقلال، إلى الإيمان بأهمية استخدام الكفاح السياسي بالتوازي مع الكفاح المسلح، والامتناع من استخدام هذا الأخير حين يتعذر استخدام الوسائل القتالية بشكل ناجح ومفيد، ومن التشدد والرفض إلى الاستعداد للتفاوض في إطار العمل السياسي، لكن مع عدم التخلي عن الثوابت والسعي لتحقيقها من خلال مراعاة المتغيرات الخاصة بكل مرحلة والتعامل معها لتحقيق أقصى المكاسب.

ومن خلال سرده الأحداث يقوم بتوضيح الارتباط بين الاستراتيجيا والتكتيك، وكيفية تطورهما في كل مرحلة من مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية. إذ تم الانتقال من استراتيجيا "كل شيء أو لا شيء" إلى استراتيجيا "السلام على

مراحل"، وأخيراً إلى استراتيجية "دولتين لشعبيين".

كما يقوم المؤلف بشرح التداخل والتعارض بين العمل الوطني الفلسطيني وسياسات الدول المضيفة، ومحاولة المحافظة على القرار الوطني المستقل، وإيجاد صيغة متوازنة في العلاقة بها. ويشير إلى ما تعرض الفلسطينيون له من اضطهاد وظلم، لا على يد أعدائهم فحسب، بل أيضاً على يد إخوانهم العرب في دول اللجوء، والذين يعتبر هو أحد الشهود الرئيسيين عليهما، من خلال سرده تجربة اعتقاله وتعذيبه ونفيه وما تمثله من دليل صارخ على تلك الممارسات. كما يعرض محاولات بعض الأنظمة العربية للتدخل في الثورة الفلسطينية وتقييد حركتها ومصادرة قرارها المستقل، إن لم يكن وأدها من جذورها.

ومع تعداد المؤلف للإنجازات التاريخية للحركة الوطنية الفلسطينية، وأهمها تكريس القضية الوطنية للشعب الفلسطيني وحمايتها من الاندثار، يحاول أن يرشد القارئ إلى أسباب النكبات والهزائم المتلاحقة التي حلت بالشعب الفلسطيني، من دون أن يحدد تلك الأسباب أحياناً بوضوح وصراحة. فعلى الرغم من كثافة الحملة المعادية، وتكاتف قوى عالمية وإقليمية ومحلية لإحاق الهزيمة بالشعب الفلسطيني ولإنهاء قضيته، فإنه لا يغفل العوامل الذاتية للحركة الوطنية الفلسطينية، إذ يشير إلى كثير من الأخطاء التي وقعت فيها، وأهمها انغماسها في الشؤون الداخلية للدول المضيفة، ودخولها طرفاً في الصراعات الإقليمية، وتشتت مواردها وطاقتها، وبعثرة جهودها وتوجيهها في اتجاهات لم تصب دائماً في خدمة المشروع الوطني، بل صبت في كثير من الأحيان في تعارض معه. وفي هذا المجال ينتقد حالة الانقسام والتفتت والتناوب بين فصائل المقاومة على الرغم مما مثلته منظمة التحرير الفلسطينية وهيئاتها من أطر موحدة لها، ويدعو إلى العمل على مأسسة تلك الهيئة مقدماً نموذجاً يحتذى عند إدارته لبعضها.

كما ينتقد المؤلف الاستراتيجية العسكرية التي اتبعتها التنظيمات المسلحة، من إقامة "قواعد" عسكرية مبعثرة ومكشوفة في دول المواجهة شتتت جهود المقاومة وسهلت عملية ضربها. وينتقد نزوع بعض الفصائل إلى أعمال خطف الرهائن والاعتداء على المدنيين في الداخل والخارج وما سببته من إساءة للنضال الفلسطيني. كما ينتقد عدم التزام مقتضيات الحيطة والحذر الأمني لحماية القيادات والكوادر الوطنية، والتهاون مع العابثين بالوحدة الوطنية والخارجين عن الصف الوطني.

وأخيراً يوجه الكاتب من خلال مذكراته الدعوة إلى احترام القانون الدولي والتزامه كضمان لاستخدامه سلاحاً للحصول على الحقوق الوطنية. ويدعو إلى الاهتمام بالجيل الجديد وتعليمه وتثقيفه وتأهيله لحمل قضيته بروح من المسؤولية والواقعية والالتزام.

مضمون الكتاب

يلقي الكاتب أضواء على معالم وأحداث مهمة ومفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني، لا كشاهد عيان على الأحداث فقط، بل كمشارك ومتفاعل فيها أيضاً:

الفصل الأول: يتناول الفترة منذ ولادته في الطنطورة سنة 1929 حتى إنهائه الدراسة الثانوية في الكلية العربية في القدس سنة 1947. فيصف أيام الطفولة والمدرسة، ولعبه بالرياضة، وخصوصاً الجري والسباحة وكرة القدم، وشغفه بالأدب والمطالعة والرسم. وحبه للأرض والطبيعة. ويستعيد مشاهد التواطؤ البريطاني مع الاستيطان والإرهاب الصهيوني ضد شعب فلسطين الأعزل. وفي المقابل يستذكر مشاهد المقاومة الفلسطينية للاحتلال البريطاني والاستيطان اليهودي، ومساهمته وأسرتة فيها.

الفصل الثاني: يتناول الفترة منذ التحاقه بأسرته بعد تخرجه من الكلية العربية سنة 1947، وانتقال أسرته للعيش في حيفا، وكيف تحولت رغبته من الالتحاق بالدراسة الجامعية في هندسة الموانئ أو البترول في الخارج، إلى العمل في جمارك حيفا. ثم يتحدث عن مشاركته في الدفاع عن حيفا، وعن التحاقه لذلك بدورة الضباط الفلسطينيين في سورية. ويوثق مذبحة الطنطورة وتشرد أهل بناء على شهاداتهم. ثم يلقي الضوء على تجربة التحاقه بجيش الإنقاذ حتى حله 1948 – 1949، ويلقي الضوء على تشكل علاقته بوصفي التل.

الفصل الثالث: يتناول الفترة منذ التحاقه بالخدمة في الجيش السوري سنة 1949، وبروزه في الجيش كخبير ومرجع فيها. ويصور الوضع السياسي في سورية أواسط الخمسينيات، حين توالى الانقلابات. ويشير إلى علاقاته بكبار الضباط الذين أصبحوا رؤساء البلد وقادته، بمن فيهم أديب الشيشكلي، وزياد الحريري، وعبد الحميد السراج،

وأمين الحافظ، وصلاح جديد، وحافظ الأسد، وكيف امتنع من فض التظاهرات الشعبية بقوة السلاح، ومن القتال في حملة الشيشكلي ضد جبل الدروز.

الفصل الرابع: يتحدث عن انتقاله للخدمة مع قوات الجيش السوري إلى الأردن في سنتي 1956 و1957، وكيف استثمر وجوده في تعزيز علاقاته بأبناء الشعب الفلسطيني هناك. ثم يكشف عن دوره في حماية وتهريب بعض الوطنيين، ومنهم عبد الرحمن شقير، بعد ملاحقتهم وتعرضهم للخطر. ويشير إلى حرب 1956، وزيارته مصر وسيناء. ثم يوضح خلفيات فشل تجربة الوحدة السورية - المصرية، ويتحدث عن عودته للالتحاق بدورة الأركان في سورية في السنة نفسها، واعتقاله قبل تقديمه للامتحانات النهائية بيوم واحد.

الفصل الخامس: يكشف خفايا تجربة اعتقاله وتعذيبه الرهيب في سورية (1959 - 1960) بسبب خطة من مدير الاستخبارات السورية، عبد الحميد السراج، الذي اتهمه وعدداً من الضباط الفلسطينيين والسوريين بالتآمر ضد الوحدة بين مصر وسورية. لكنه يبين أن السبب الحقيقي لاعتقاله وزملائه هو طمس الدور المميز للضباط الفلسطينيين في الجيش السوري، والحيلولة دون قيامهم بنشاط مؤثر في اتجاه تحرير وطنهم. ثم يعدد صنوف التعذيب الوحشية التي استخدموها ضده جسدياً ونفسياً في أثناء اعتقاله على مدار ثمانية أشهر.

الفصل السادس: يلقي الضوء على تجربة نفيه إلى مصر. ويكشف حالة الفقر المدقع التي عاشها في منفاه في الإسكندرية، إذ منع من العمل، وتعرض للملاحقة الدائمة، ومنع من الدراسة والسفر أيضاً. ثم يتحدث عن عودته إلى سورية بعد الانفصال. ويكشف عن استمرار تعرضه للملاحقة والتهديد بالاعتقال بعد عودته من المنفى، ومنعه من العمل، الأمر الذي جعله يواجه حالة العوز من جديد. ويتكلم عن تتابع الانقلابات في سورية، واستمرار حالة القلق لديه واضطراره إلى الاختباء بسببها. وأخيراً نجاحه، بمساعدة من زملائه، في إيجاد فرصة عمل في المديرية العامة لمؤسسة اللاجئين الفلسطينيين (1961 - 1964). ثم يتحدث عن النشاط في الأوساط الفلسطينية لتأسيس منظمات مقاومة منذ بداية الستينيات. ويتحدث عن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (1964) ودوره فيه، وإنشاء جيش التحرير الفلسطيني في السنة نفسها والتحاقه به.

الفصل السابع: يتحدث عن كيفية ولادة جيش التحرير الفلسطيني (1964) في دول المواجهة، وتشكيل قوات حطين في سورية، وقوات القادسية في العراق، وقوات عين جالوت في مصر، ودوره الريادي وزملائه في الدورة في تشكيله، وتولييه إدارة العمليات والتدريب فيه، وتطويره قوات التحرير الشعبية، وإنشاء وحدات احتياطية خاصة لها في المخيمات. ويشير إلى علاقة قوات حطين الفلسطينية بالسلطات السورية، ومواجهته محاولات الأخيرة فرض هيمنتها على تلك القوات، والمحاولات المماثلة لباقي الأنظمة العربية على جيش التحرير عامة. ثم يتكلم عن التحاقه بدورة الأركان في كلية القيادة والأركان السورية وتخرجه منها بامتياز في سنة 1966.

الفصل الثامن: يتناول دور جيش التحرير في حرب حزيران/يونيو 1967، ويحلل بعض عوامل الهزيمة. فيكشف لأول مرة عن صمود قوات حطين التي كان يقودها في الحرب على الجبهة السورية، ورفضها قرار الانسحاب الكيفي ومقاومتها على الجبهة حتى اللحظة الأخيرة، وحتى إعادة تموضعها للدفاع عن مدينة دمشق. ويوضح لأول مرة دور جيش التحرير في الأردن، وفي معركة الكرامة في آذار/مارس 1968، التي اعتبرت رافعة للعمل الفدائي ورداً على الهزيمة، إذ جاء دور جيش التحرير فيها متميزاً ببناء على خطة دفاعية كانت موضوعة سلفاً من القيادة العسكرية الفلسطينية، وهو من ضمنها.

الفصل التاسع: يتحدث عن ارتفاع شعبية العمل الفدائي وبروز "فتح" كأكبر قوة فلسطينية، وعن تضائل وزن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لتلك المرحلة، واستقالة الشقيري في أواخر سنة 1967، وتسلم يحيى حمودة قيادة المنظمة، والذي قام في تموز/يوليو 1968 بتعيينه رئيساً لأركان جيش التحرير. ويذكر التمرد الذي وقع في جيش التحرير نتيجة ذلك. كما يتكلم على دورة المجلس الوطني في سنة 1968، التي نجحت فيها الفصائل المسلحة في السيطرة على منظمة التحرير وتسلم ياسر عرفات رئاسة اللجنة التنفيذية، وتعيينه من جانب اللجنة التنفيذية الجديدة في آذار/مارس 1969 رئيساً لأركان الكفاح المسلح الفلسطيني، ثم تعيينه قائداً عاماً للجيش في حزيران/يونيو 1969. كما يشير إلى دوره في تقنين الوجود الفلسطيني العسكري في لبنان من خلال اتفاق القاهرة سنة 1969، الذي كان له الدور الرئيسي في التوصل إليه وتوقيعه.

الفصل العاشر: يعرض وضع المقاومة الفلسطينية في الأردن ومقدمات المجابهة الفلسطينية - الأردنية، ومحاولاته عقلنة الوجود الفلسطيني هناك ومنع الصدام مع السلطة، من خلال محاولته تنظيم الوجود الفلسطيني المسلح باتفاق مع الأردن، على غرار ذلك الذي تم التوصل إليه مع لبنان. ثم يشير إلى ردة الفعل الفلسطينية العنيفة

على قبول مصر مشروع روجرز، وكيف سعى من جانبه لتهدئة الخواطر وضبط التصرفات المسيئة لمصر، ودورها السلبى عشية المواجهة مع الأردن. ثم يأتي إلى ذكر تأليف الحكومة العسكرية في الأردن في 16 أيلول/سبتمبر 1970، عشية اندلاع المواجهة مع السلطة هناك، وتشكيل غرفة العمليات الفلسطينية التي رأسها، ووضع خطة لحماية الثورة في عمان. ثم يتحدث عن اجتماع اللجنة المركزية للمقاومة، والذي غاب عنه ياسر عرفات وانتخب فيه البحبي بالإجماع قائداً عاماً لقوات الثورة الفلسطينية، وكيف تنازل عن هذا المنصب لمصلحة ياسر عرفات ليكون هو نائباً له.

الفصل الحادي عشر: يستكمل عرض وضع المقاومة الفلسطينية في الأردن وبدء هجوم الجيش الأردني على مواقع المقاومة في عمان، ومباشرة المفاوضات العسكرية والأمنية، ودوره في صوغ وتوقيع وتطبيق بروتوكول عمان العسكري. ثم يتحدث عن معركة أحراج جرش النهائية، والتي دعا إلى تحاشيها وانتهت بخروج المقاومة كلياً من الأردن. ثم يروي حيثيات الانقلاب في قيادة جيش التحرير ضده بدعم من القيادة السورية، رغبة منها في إفشال وحدة القوى الفلسطينية المسلحة. ومن ثم يروي قصة استقالته من قيادة الجيش وإنهاء قيادة منظمة التحرير خدماته هو وعدد من زملائه في الجيش تنفيذاً لصفقة مع القيادة السورية.

الفصل الثاني عشر: يتحدث عن عمله كمدير عام للدائرة السياسية لمنظمة التحرير بعد إنهاء خدماته في جيش التحرير (1972 – 1984). ويستذكر هنا خطف الطائرات الذي قامت به الجبهة الشعبية عشية المواجهة الدامية في الأردن في أيلول/سبتمبر 1970، ويروي تجربة خطفه مع آخرين من قبرص على طائرة بعد اغتيال الكاتب المصري يوسف السباعي، وعن دوره الرئيسي في تحرير الرهائن.

الفصل الثالث عشر: يتحدث عن دعوته إلى تصحيح العلاقة بالأردن والدوافع التي عززت في حينه تلك الدعوة. ويشير إلى ورقة العمل التي قدمها في شأن ذلك إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في بداية سنة 1977، والتي أقرت بحذافيرها في حينه. ثم يتحدث عن جهوده لتصحيح العلاقة بالأردن بعد تكليفه مهمة ممثل اللجنة التنفيذية فيها (1979 – 1992)، على الرغم من المعارضة التي واجهها. ويذكر خطته لتحقيق ذلك من خلال معالجة المشكلات الآنية وإعادة بناء الثقة بين الطرفين. ويذكر في هذا المجال كيف سعى لإنهاء عزلة مكتب المنظمة في عمان ورفع مستواه الدبلوماسي إلى سفارة ومنحه وممثلية اللجنة التنفيذية الحصانة. ثم يتحدث عن دوره في اللجنة الأردنية – الفلسطينية المشتركة التي تم تأليفها لدعم صمود الأرض المحتلة بناء على قرار قمة بغداد أواخر سنة 1978. ثم يتحدث عن الشرخ الذي أصاب "فتح" والمنظمة أواسط الثمانينيات وأدى إلى عقد دورة المجلس الوطني سنة 1985 في عمان وانتخابه عضواً للجنة التنفيذية، ومن ثم التوصل إلى اتفاق عمان بين ياسر عرفات والملك حسين ثم إلغائه وطي الأردن مشروع الكونفدرالية والبحث في مستقبل العلاقة الأردنية – الفلسطينية إلى ما بعد قيام دولة فلسطينية مستقلة.

الفصل الرابع عشر: يكشف عن دور منظمة التحرير في التخطيط للانتفاضة الأولى أواخر سنة 1987 وقيادتها لها، الأمر الذي ينفي الاعتقاد السائد لدى البعض أن الانتفاضة كانت عفوية. ويقول إن اللجنة التنفيذية ألّفت لجنة فرعية من مندوبي "فتح" والجبهتين الشعبية والديمقراطية والكاتب، برئاسة أبي جهاد، وكلفتها متابعة الوضع في الداخل، ودراسة إمكانيات القيام بانتفاضة جماهيرية فيها. ويكشف عن تكليفه وضع خطة الانتفاضة، بما يشمل الهيكلية وأنواع النشاط ووسائل القيام بها، وتأليف اللجان الشعبية المحلية لقيادتها. ومن ثم إرسالها إلى المعنيين بالتنفيذ بعد إقرارها، في انتظار تحديد موعد الانطلاق ومكانه، إلى أن جاءت حادثة الدهس في جباليا التي أطلقت شرارة الانتفاضة. ثم يكشف أسرار الاغتيالات في صفوف القادة الفلسطينيين ومحاولاته المبكرة التحذير منها، وحتى صد بعضها والكشف عن منفيها قبل وقوعها.

الفصل الخامس عشر: يصف الأوضاع الجديدة التي نجمت عن الانتفاضة الأولى، الأمر الذي أدى إلى فك الحصار العربي والدولي عن منظمة التحرير، وبرزت الدعوات إلى تسوية سياسية لقضية فلسطين وبمشاركة الفلسطينيين أنفسهم. ويروي كيف التقط المجلس الوطني ذلك في دوراته الثلاث بدءاً من الدورة التوحيدية سنة 1988، ووظفه في "إعلان الاستقلال" وإطلاق "مبادرة السلام الفلسطينية" التي تقوم على أساس القرار 242 وإقامة دولة فلسطينية على الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، والتفاوض مع دولة إسرائيل. ويركز في عرضه الجهود والنشاطات التي قام بها في هذا المجال، على اللقاءات التي عقدها مع الإسرائيليين قبل أوسلو (1989 – 1993) بصورة رسمية أو غير رسمية، وترؤسه لبعضها عن الجانب الفلسطيني، تلك اللقاءات التي أفضت إلى المفاوضات الرسمية ومهدت لها. ثم يتطرق إلى حربي الخليج الأولى والثانية، وكيف شوش سوء عرض وفهم الموقف

الفلسطيني من نظام صدام وغزوه الكويت، الجهود الدبلوماسية الفلسطينية، وانحسار التأييد العربي والدولي لتلك الجهود، وإضعاف الموقف الفلسطيني عشية انطلاق مؤتمر مدريد للسلام. ويبين موقفه المعارض لممارسات صدام ولضرر ربط الموقف الفلسطيني بها. وأخيراً يوضح كيف أن تواتر خلافاته مع بعض أعضاء اللجنة التنفيذية، أدى إلى استقالته من اللجنة التنفيذية وانتقاله للعمل الحر واستنكافه عن حضور اجتماعات المجلس المركزي، إلى حين سماعه بالتوصل إلى اتفاق أوسلو، ومن ثم استئنائه للنشاط السياسي، فتم تكليفه رئاسة الجانب الفلسطيني في المفاوضات الأمنية الفلسطينية - الإسرائيلية، ثم انتقاله للخدمة في السلطة الوطنية التي ساهم في تأسيسها وعمل فيها رئيساً للجنة الأمنية العليا لمتابعة المفاوضات الأمنية وتفسير الاتفاقات ومراقبة تطبيقها، مروراً بتعيينه أول وزير للداخلية في السلطة الوطنية الفلسطينية إلى حين تعيينه عضواً مراقباً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير مجدداً.

الإجمال العام للكتاب

يتحدث الكتاب عن فلسفة حياة ونهج عمل ومنهج فكر، وهو ليس مجرد سرد تاريخي للأحداث. ويمتاز الكتاب باتساقه وتوافقه من حيث الشكل والمضمون. وقد عني الكاتب بإيراد معلومات تاريخية لم يسبقه إلى ذكرها أحد. وعلى الرغم من اعتماده، إلى حد كبير، على الذاكرة فإنه لجأ إلى الوثائق والمراجع لتدقيقها. غير أنه يبدو أن الحرص على الاختصار قد حال دون ذكر الكاتب لكثير من الروايات والتفصيلات ذات الأهمية التاريخية، والتي عرفت منها عن قرب. كما يبدو أن الدبلوماسية والكياسة حالتا دون توجيه المؤلف انتقادات واضحة للقيادة الفلسطينية وبعض الجهات العربية التي تعامل معها. وحيث أن موضوع الكتاب هو المذكرات الشخصية والتركيز في الكتاب كان على تناول الأحداث التي مر بها المؤلف من دون سواها، فإنه لم يتم تناول بعض الأحداث والمحطات التاريخية المهمة بما يكفي من تفصيل وتحليل، إما بسبب عدم المشاركة المباشرة والفاعلة فيها، وإما بسبب تزامن الأحداث وعدم إمكان الاستفاضة في شرح كل منها. وعلى الرغم من ذكر المؤلف تحوله بالتدريج من الرفض المطلق إلى التعامل مع المتغيرات من دون التركيز على الثوابت فقط، فإنه لم يجر مراجعة تاريخية إلى الخلف للمواقف الفلسطينية الرسمية والشعبية من القرارات والمبادرات الدولية تجاه قضية فلسطين، والتي امتازت دائماً بالرفض بدلاً من التعامل الإيجابي مع التغيرات الدولية والتصرف وفقاً لما تمليه موازين القوى في كل مرحلة. وبالنظر إلى حداثة تجربة المؤلف في التأليف، إذ إن هذا هو كتابه الأول، فقد نجح في عرض مضمونه الغني بأسلوب شيق ولغة سلسة كما أسلفنا. إلا أن اعتماد التسلسل التاريخي أسلوباً للرواية لم يتم مراعاته دائماً، وذلك للحفاظ على الترابط الموضوعي كما يبدو. كما لم يخل الكتاب من بعض الأخطاء اللغوية والمطبعية التي كان في الإمكان تجنبها لو انتبه إليها من راجع الكتاب قبل طباعته. ولم يتم تضمين الكتاب ما يكفي من الصور والوثائق التي لا شك في أن المؤلف يملكها، والتي تغطي حوادث مهمة كثيرة أتى إلى ذكرها في النص. ويبدو أن اهتمام المؤلف بالهم الوطني حال دون تناوله حياته الشخصية إلا على هامش مسيرته الوطنية. وعلى الرغم من عدم وجود سند له من حزب أو عشيرة تحميه، فقد صمد في وجه التحديات والصعوبات. وكل ما اعتمد عليه في صموده كان خبرته وكفاءته العسكرية والإدارية، وحنكته وواقعيته السياسية، واتزانه في علاقته بالآخرين، وهدوءه وروحه المرحّة، وعمق ثقافته وسعة أفقه، وبعد نظره على الصعيد الاستراتيجي.

حازم الشنار

كاتب فلسطيني

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx